من اوراق صادق الازدي

حكاية عن القبانجي .. واخرى عن القندرجي

النشال الذي غنى له القبانجي .. وورثة القندرجي الذين هدموا داره

بعد ان بدأت اشق طريقي في الوسط الصحفي البغدادي ان ازداد معرفة بالناس وان تتوطد علاقاتي بعدد من البارزين منهم وفي شتى مجالات الحياة . وكان من بين من تعرفت عليه في اوائل الاربعينيات بعض اقطاب الحركة الفنية القائمة يومذاك سواء في مجال الرسم او التمثيل والغناء وغيرها من المجالات ذات العلاقة بواحد من الفنون او التي يصير الذين يمارسونها على لصق صفة الفن بها وما هي منه في شيء كالرقص الشرقي الذي كان ولايزال احد فنون الليل والافلام التجارية وكان من اوائل الذين عرفتهم الاربعينيات في بدايتها المطرب العراقي محمد القبانجي وقارئء المقام رشيد القندرجي ولن اتحدث اليوم عن رأيي فيهما بكونهما مطربين من قراء المقامات والبستات وانما اكتفي بالقول انهما كانا جيلين مختلفين فالقندرجي غيره القبانجي وذلك يلزم بالقديم والاخر كان يحمل لواء تطوير المقام العراقي وتحديثه وساكتفي اليوم بذكر حكايتين وقعت لكليهما وقفت على تفاصيلهما بحكم العلاقة التي كانت تجمع بيني وبينهم .

القبانجي والنشال .!!

عصر احد الايام من اشهر الشتاء عام ١٩٤٣ جاءني القبانجي الى دائرة جريدة الاخبار التي كنت اقوم فيها بمهام سكرتير تحريرها ورجاني ان انشر له في صفحة المحليات رجاء الى شخص الذي عثر على محفظته الجيبية بان ياخذ ما فيها من النقود ويعيد اليه الاوراق الخاصة الموجودة فيها وكتبت له ذلك التنف الرجاء ثم سالته بعد ان دفعت به الى عمال النشر فقد ارا د الق بانج ي اعتبارها مسالة فقدان محفظة من وبعد اسبوع جائني القبانجي وقال لي لقد عثرت على المحفظة وقلت اين ؟. في البيت ؟. قال لا لقد وصلتني بالبريد وفيها كل الاوراق النقدي والاوراق الخاصة وارسلها النشال بعد ان جعلها في كيس من الخام كتب عليه اسمي وملاحظة قال فيها مع الاعتذار سيدي .!! وقلت عجيب هذا والله .. قال ويبدو لي من المعجبين وجئت لتنشر لي رجاءا اخر .. ما هو ؟. رجاء تقول فيه انني على استعداد ان اغني للرجل الذي نشلها مني شاب بمنطقة الميدان فقد اصطدم بي فاعتذرت منه اذ حسبت في بادىء الامر ان الاصطدام حدث بسبب قضية كانت تشغل فكري وانا اسير على ذلك الرصيف الضيق المزدحم بالمارة الا انني تنبهت بعد دقائق الا ان ما وقع كان قد تم عن تصميم مسبق من ذلك الشاب ولما مددت يدي الى جيبي لم اجد محفظتي فيه ولهذا عدت الى شرطة السراي وسجلت اخبارا بما حدث ونشر الجريدة رجاء القبانجي الى ناشل محفظته من دون أي اشارة الى مسألة عملية

واين فقدت المحفظة ؟ فقال لم افقدها وانما اعاد لي محفظتي . حتى صباح أي ليلة وعهدي به انه قد عزف عنها منذ اعوام . وان كان قد اندفع بالتدخين وسالته بعد ان غنى ورقص ثم جلس الى جنبي . لقد عدت شابا يا ابا حميد . فاجاب هامسا . الم اقل لك اكثر من مرة اني اخاف الموت وامي في قيد الحياة واما وقد ذهبت فلماذا لااستمتع بحياتي . ؟

وانتهت تلك السهرة الخاصة قرابة الساعة الرابعة صباحا ولم ار القندرجي بعدها فقد عاد الى بيته الفارغ من أي انسان ونام في فراشه ولم يستيقظ ولم يشعر جيرانه بموته الا بعد ان ظهرت رائحته ..

والمؤلم اكثر من قتانة هذه النهاية لمطرب عراقي كبير هو ان ورثته لم يجدوا بين مقتنياته المال الذي حسبوا انه ادخره وظنوا انه قد اخفاه في ارضية بعض غرف البيت فقلبوها رأسا على عقب ولما لم يجدوا شيئا بحثوا عنها في الجدران وهكذا هدموا البيت دون جدوى وهذا ما سمعته من صديقه محمد سعيد صاحب مطبعة اسعد.

القندرجي وورثته ..

ويوم تعرفت على رشيد القندرجي كانت الحرب العالمية الثانية قائمة وكان هتلر قد امر الجيوش بمهاجمة الاتحاد السوفياتي وكنت يومذاك احرر جريدة فكاهية اسبوعية هي جريدة النديم اضافة الى عملي في جريدة الاخبار وكانت النديم تطبع على مطابع والصحيح على مطبعة واحدة من مطابع تلك الايام اسمها مطبعة الرشيد كان يملكها اربعة اشخاص ثلاثة منهم من اليهود والرابع مسلم اسمه محمد سعيد وقد هاجر اليهود الثلاثة فيما بعد الى المنطقة المحتلة من فلسطين واستقل الشريك الرابع المطبعة التي نقلها فيما بعد الى مكان اخر من محلة جديد حسن باشا وجعل اسمها مطبعة اسعد وكان محمد سعيد هذا من محبي المقامات العراقية وكان رشيد القندرجي في رأيه سيد القراء له فكان القندرجي يزوره كل يوم تقريبا فتعرفت عليه وكان يسالني عن اخبار الحرب فأروي له التفاصيل التي كنت قد وقفت عليها وبعد ان مرت الايام والاسابيع وانا افعل ذلك فوجئت ذات يوم برشيد القندرجي وهو يقول لي : لماذا لايذيع الراديو الاخبار بالطريقة التي تقولها انت ؟.

وادركت فورا ان القندرجي هذا وهو من هو في دنيا المقام العراقي هو رجل امي حتى ليصعب عليه حتى تتبع الخبر وهو يذاع بالمذياع من اذاعة بغداد .

وفي صباح يوم ١٧اذار عام ١٩٤٥ اتصل بي احد معارفي من محبي القندرجي وقال لي ..مارايك لو جئت لتسهر الليلة عندي ؟. فسالته من سيكون ضيوفك ؟

لما ذكر لي اسماءهم كان على راسهم القندرجي فوافقت لاني لم اكن قد رايته منذ عدة اشهر وادهشني القندرجي عندما رايته يعبّ الخمرة عبا

الفنانة زينب : لااملك ٣٠٠ دينار في بيتي

وما يلفت النظر في الحديث مع الفنان العراقي عموما هو التصاقه بتربة الارض الى حد النخاع حيث تبدو جذوره ملتصقة بشكل لايمكننا معه ان نعزل سيرة الفنان الذاتية عن السيرة العامة لحركة المجتمع .

ان هذا ليبدوا مناخا جيدا يستطيع فيه الفنان العراقي ان يكون اضاءة ساطعة وليس دمية صالحة للتفرج ومطالبته بالتزويق المزيف . اذ اذكر هذه المقدمة وانا اجلس مع الفنانة زينب السيدة (فخرية عبد الكريم) جلسة ود. ويجدر بي ان اذكر ايضا ان التربة في العراق قادرة على ان تنجب دائما ابداعاتها المتواصلة ضمن هذا المناخ الذي نعيشه جميعا في ظل الثورة .

اشير ايضا الى ان أي توقف يبدو للوهلة الاولى شخصيا هو خيط يشد الى العام وما يمكن ان يؤثر او يتاثر به هذاالعام عبر ابداعات الفنان الشخصية .

•نبدأ كالاتي .. اين تقفين الان ؟.اعني اين انت الان ومذا حققت؟.

انا هنا وكما كنت دائما على المسرح وفي التلفزيون.. وماذا حققت ؟ مساهمة تصرف حدودها وما تريد ولاتترك شيئا للمصادفات.

•والظروف ؟ الا تتركين شيئا للظروف ؟. الظروف قد تساعد وقد تعيق ولكنها ابدا لاتساهم في صنعي.

•لكنها تحدد الاتجاه احيانا ماذا تقولين؟. هذا صحيح ولكن ماذا تقصدين ؟. التوقف ؟!!!

•زينب .. يقول بعض اصدقائك انك لم تعودي كالسابق .. اعني انك توقفت عند مرحلة معينة من القدرة .. ثم انحرفت نحو التكرار .. اضع ذلك امامك وانا املك تداعياتي الان فارك في (النخلة والجيران) و(اني امك ياشاكر).ووو..

من قال هذا ؟.من قال اني توقفت ؟.وماذا يعني التوقف ؟.اليس التطور رفضا للدراما المسطحة .ومساهمات في النقاش على الشخصيات التي ينبغي لي تجسيدها ؟.وماذا يعني توقف القدرة لممثلة مثلي ؟هل يعني انحسار الادوار او بطلان الاعجاب ؟.او تيبس في مرونة الابداع ؟انا لا اعاني اوضاعا مثل هذه .

•انا سمعت هذا الرأي من اصدقائك ..حين كنت تمثلين في مسرحية الخان هذا الصديق قال :لعل زينب قد توقفت .. انها لاتعمل .. هي تصرخ وحسب !!.

من قال ذلك لم يرني جيدا ولم يسمع موجات التصفيق التي تستقبلني وتودعني كل يوم وعلى مدى عشر دقائق حسب اقف على خشبة المسرح ..

•انا قلت ذلك له وقال لي ..الجمهور يصفق للمسرحيات التهريج ..

لكن زينب لاتقف على على خشبة المسرح المهرج.

❖ انا ايضا اقول ذلك واضيف :ان زينب ممثلة جادة وهي فنانة قديرة

– اشكرك.

الضوء!!

•زينب ..هاقد مضت عشرون عاما مليئة بالمواقف والاعمال والكتابة ..ولكن مع هذا فها انت لم تحققي غير تلك الجماهير الشعبية .

–الايكفي هذا باعتقادك ؟.

❖ اعجب مثلا الا تكوني تحت الضوء في خارج القطر ؟علما بان ممثلة عربية لاتضاهيك ثقافة وقدرة امكنها هنا ان تتحدث عنك من موقع مرتفع ..ومتجاوز لموقعك فقد علمت ان السيدة سهير المرشدي اشادت بك .لكنها فعلت ذلك وكانها امامك استاذة هنا ينبغي ان اذكرك اننا نحترم سهير المرشدي كممثلة جادة وطموحة لكننا مع هذا لانفضلها على زينب وهي في نفس الوقت تخشى ان تصبح تحت بريق زينب ..وارجو الا تفهمي ذلك في الحدود الشخصية للممثلة .اني اتحدث عن القدرات ..التاريخ .. والكفاءة ايضا..

– قد احب هذا الحديث الذي تقولينه ولكن هل انا من تريدلسهير المرشدي او غيرها من الزميلات اللواتي نعتز بهن ان تتحدث امام فناناتنا العراقيات من موقع اكثر ارتفاعا وابعد تجاوزا ؟؟ ثم.من الذي قدمنا للاخرين من الزملاء خارج القطر وكيف قدمنا ؟.او كيف ينبغي ان نقدم احدا لم يذكر امامهم تاريخنا ومواقفنا حتى ولم بمنطق الكم وليس النوع.

الغضب !!

❖ولكن لم هذا الصمت ؟هل فقدت زينب تلك القدرة الضخمة على الجرأة أو انك نسيت موقفك البطولي من زوجة خيون ال عبيد اقطاعي الشطرة المعروف الم تكوني يومها صغيرة شابة غريرة. وعلى الرغم من هذا استطعت ان تقولي لا لان زوجة الشيخ الاقطاعي ارسلت في طلبك؟!

– اجل قلت ومازلت اقول لا حين لااقتنع . ولكن لست هنا في موقف المواجهة وحتى الرفض يمكن ان يصل عبر المناقشة الى اقتناع من الطرفين ولكن حين يصل الامر الى الحدود الشخصية الخاصة فان الصمت ايضا يصبح بشكل او باخر .

❖ وما رأيك بسهير المرشدي كممثلة ؟

– انها قديرة وانا مقتنعة بجودة اختيارها لادوارها .

الممثلة .!!

•لماذا اصبحت ممثلة ؟.

– لانني اردت مساعدة الطالبات الفقيرات في ثانوية الرمادي حيث كنت اعيش ويومها حين قرأت اعلاناً عن فيلم سعيد افندي ذهبت الى بغداد ومثلت وعدت حاملة الاجر واستطعت في ان اسهم في تهيئة ملابس الفقيرات من الطالبات في مدرستنا ..وهكذا ..استرحت ..

•وبعدها ؟

– وبعدها كنت املك شحنات من القدرة على الاداء وكان الفن ليس بعيدا عني كذلك الكتابة ايضا .

•تكتبين كثيرا ومع هذا لم تصبحي مثلا كيوسف العاني ولم تكوني كاتبة مسرحية او تلفزيونية معروفة بنفس المستوى الذي عرفت به كممثلة لماذا..؟

– كاتبة مسرحية ..لا.. ولكن على صعيد التلفزيون كتبت الكثير وقد عرفت اعمالي .. وقدمت بعضها في الكويت وقد تكون الظروف قد وقفت عائقا بيني وبين اعمال عديدة اخرى .

•مثل ماذا؟.

– قدمت الساقية المهجورة وهي عمل روائي طويل منذ اكثر من سنتين لكن التغيرات التي حدثت في مؤسسة الاذاعة والتلفزيون اثر الموافقة عليها .. جمدت العمل وهناك اعمال اخرى رفضت منها .. عندما يعي الليل .. اما العمل الاخير الذي قدمته فهو ضباب ومحيط من الضياء وقد تمت اجازة النص ونحن بانتظار عودة المخرج من خارج القطر للمباشرة في تنفيذه.

القناعة .!!

•في كل المرات التي رأيتك تتحدثين فيها على الشاشة في مقابلة او ندوة كنت احس انك تدافعين دائما عن المرأة كنت احس ايضا انك تضمين داخل محبتك وقناعاتك أنموذجا معينا للمرأة ..الانموذج الايجابي !!..

اجل فهذا ما احبه للمراة الانموذج الايجابي وهذا ما ابحث عنه ايضا واساهم في رحلة عطائي بتأكيده ووجوده ولكن على صعيد التمثيل فكثيراً ما اكون في الظرف الاخر ..ان اكثر ادواري الاخيرة تجسد الانموذج السلبي للمراة . العنيفة . المتطرفة . .المتغطرسة . .القاسية..الخ .. الحب والصمت

•زينب ..ماذا تقرئين؟.

الكتب الفنية والروايات .

❖ماذا تحبين ؟.

اصدقائي ..الكتابة ..التمثيل على المسرح..❖

❖ متى تصبحين عصبية .؟

حين اصطدم بالاصدقاء .

❖ هل تبوحين بالغضب ؟.

كلا افضل الصمت .

❖ زينب من يحبك؟.

كما اعتقد كل الناس وصغار المحلة التي اعيش فيها. سواق التكسي ..يحبونني على طريقتهم الخاصة . وبعضهم يرفض ان يتقاضى اجرته وبعضهم حين اعامله يقول هسة ديلله زينب ..قابل فلوسج قليلة ..

•هل انت ثرية ؟.

•لا املك بيتا . ولااملك سيارة ولااملك ٣٠٠ دينار كبداية لان اطبع روايتي (الساقية المهجورة) ..

•بماذا تفكرين الان ؟.

•الان ودائما افكر بالكتابة ..

•ومتى تكتبين ؟.

– عندما اراقب واتفاعل مع الاشخاص الذين يحيطون بي انا لم اكتب الا عن شخصيات اعرفها واحداث اعايشها او اطل عليها .

صرت قبل اسابيع ذكرى رحيل الفنانة الكبيرة زينب.. الفنانة التي دافعت عن مواقفها السياسية في وجه النظام السابق مما اضطرها الى الهجرة الى خارج العراق حيث ساهمت في فضح اساليب النظام السابق ورفعت رأي الدفاع عن قضايا الشعب العراقي هذا الحوار الذي اجرته الصحفية هاديا حيدر مع الفنانة زينب ونشرته قبل اكثر من ثلاثة وثلاثين عاما سيسلط الضوء على مسيرة هذه الفنانة القديرة .